قِراءةٌ في كِتاب:

هناكَ إلهٌ - كيفَ غيّر أشهرُ ملحدٍ رأيه؟!

مراجعة: د. نبيل علي صالح
كاتبٌ وباحثٌ سوريٌّ

ملخّص

أنتوني فلو، مؤلف كتاب «هناك إله» الذي يعرض فيه لتجربته في الوصول إلى شاطئ الإيمان بوجود خالق للكون والحياة، بعد نحوٍ من خمسة عقود تائهاً في صحراء الإلحاد باحثاً ومتسائلاً عن معنى الحياة، وعلَّة الوجود، مع أنَّه نشأ ضمن أسرة مسيحيَّة، ولكنه آثر البحث لوحده في رحلة العقل والعلم والتقصِّي والتأمل، حتى وصل إلى قناعة راسخة بأنَّه يوجد خالق وموجدٌ وإله لهذا الكون، مستنداً في رحلته الطويلة إلى اعتبارات عقليّة وعلميّة عديدة.

إنّ الواضح بعد مراجعتنا لهذا الكتاب -الجدير بالقراءة والمراجعة الواعية المسؤولة- أنَّ تجربة صاحبه هي تجربة غنيّة ومهمَّة وحيوية ليس له (للكاتب) ولمن حوله فحسب، بل لجميع من يريد تحريك عقله وعياً وتأملاً، ليستهدف إيجاد معنى له في هذه الحياة، انطلاقاً من قيمة التأمل والتدبُّر في مختلف آفاق الكون والوجود، والتفكر في آيات الله، ومسبباتها وتنظيمها الرائع الدقيق.

الكلمات المفتاحية:
الإله-الخالق-الوجود-الدين-الإيمان-المقدَّس-الحياة-العلم-الفلسفة-العقل.

بطاقةُ الكتاب:

اسم الكتاب: هناك إلهٌ-كيف غيّر أشهر ملحدٍ رأيه؟!..
اسم المؤلف: أنتوني فلو.
ترجمة: د. صلاح الفضلي.
مراجعة وتعليق: الدكتور الشيخ مرتضى فرج.
الناشر: العتبة العباسيَّة المقدَّسة-العراق/بغداد.
رقم الطبعة: طبعة ثالثة/عام 1438هـ- 2017م.
عدد صفحات الكتاب: 312 صفحة مع الفهارس والمراجع.

يقعُ هذا الكتابُ في مقدمتين للمترجم والمؤلف، ويتألف من قسمين، كلُّ قسم مكون من عدة فصول، مع ملحقين في نهاية الكتاب، وفقاً للآتي:

القسم الأول: إنكاري للمقدَّس
الفصلُ الأول: صناعة الملحد.
الفصلُ الثاني: إلى حيث يقود الدليل؟.
الفصلُ الثالث: إعادة النظر في الإلحاد بهدوء.
القسم الثاني: اكتشاف المقدَّس
الفصلُ الرابع: حجُّ العقل.
الفصلُ الخامس: من كَتَبَ قوانين الطبيعة؟.
الفصلُ السادس: هل عرف الكون أننا قادمون؟.
الفصلُ السابع: كيف حدثت الحياة؟.
الفصلُ الثامن: هل جاء شيء ما من لا شيء؟.
الفصل التاسع: إيجاد مساحة للإله.
الفصل العاشر: الطريق مفتوح أمام إلهٍ كامل القدرة.
الملحق الأول: الإلحاد الجديد.
الملحق الثاني: الوحي الذاتيُّ للإله في التاريخ البشريّ
تأملات ختاميَّة

مقدِّمة

انتشرَ فكرُ الإلحاد في البيئة الفكريَّة والسياسيَّة العربيّة منذ بدايات القرن الماضي مع شيوع الفكر الفلسفي الماركسيّ والفكر العَلمانيّ الليبراليّ المتطرف القائم على فصل الدين عن الدولة و عن المجتمع أيضًا، إلى حدّ أنَّ بعضَ الدول -في تلك المرحلة التي امتدت إلى نهايات ثمانينيّات القرن الماضي- تبنّتْ رسمياً محاربة الدين والفكر الدينيّ حتى بطابعه الطقوسي الرمزي.

وقد كانَ لهذا الفكر حضور مؤثر نوعاً ما لدى أوساط النخبة الثقافية والسياسيَّة العربيّة المتأثرة بالغرب العلماني بشقيه (الشيوعي والرأسمالي)، خصوصاً مع نشوء أحزاب وتيارات سياسيَّة عربيّة بنتْ منطلقاتها النظرية على مبادئ ماديَّة إلحادية؛ ولكن بقي الفضاء المجتمعيّ العربيّ والإسلاميّ العام بعيداً إلى حد كبير عن التأثر الواسع بفكر الإلحاد بمختلف تمثّلاته وتياراته.

ولعلَّ المشكلة أو الخطورة الأكبر التي واجهتها مجتمعاتنا بانتشار فكر الإلحاد -خاصة خلال العقدين الأخيرين- تجلّتْ في هذا التحالف العضويّ الوثيق الذي برزَ بينَ الإلحاد المستتر بالعَلمانية وبين نُظم الاستبداد، حيثُ شاعتْ أفكار وأساليب التهجم على الدين وقيمه ومقدَّساته ورموزه، مع العمل والسعي الحثيث للنخب لإحداث تغيرات عميقة في مناهج التدريس لتقليص الأفكار والجرعات الدينيّة التي يتلقاها الطلاب والتلاميذ مع نشر وتفشي (غض النظر)عن فكر وممارسات وسلوكيّات الإلحاد تحت مزاعم واهية تقوم على ضرورة مواجهة التطرُّف والفكر الدينيّ المتشدّد الواقف -كما يزعمون- عائقاً أمام التمتع بالحياة..!!.

بطبيعة الحال كان لا بد من التصدِّي لأساس فكرة الإلحاد، والبدء بالمواجهة الفكريَّة والمعرفيَّة الرصينة والمعياريَّة مع ما تنتجه وتطلقه من أفكار خطيرة، في ضرورة التحرك لدفع شرورها وسيئاتها عن مجتمعاتنا العربيّة المسلمة، من قبل نخب ومفكرين ومؤسسات دينية وغير دينية تعتنق الرؤية العقلية والانفتاح الفكري والبصيرة الواعية والمسؤولة..

وهذا الكتاب: (هناك إله-كيف غيّر أشهر ملحد إلحاده؟) هو في حقيقته نتاج لتجربة معرفيَّة عميقة خاضها مؤلفه (أنتوني فلو) في السياق ذاته ، حيث إنَّ المؤلف كان ملحداً معروفاً في دوائر الغرب الثقافيَّة والمعرفيَّة والسياسيَّة، وألّف عدة كتب انتظمت في سياقات علمانية إلحادية،

ودخـل في مناظرات وحوارات يدافـع فيها عن فكر الإلحاد.. بما يعنـي أنه صاحب باع طويل وتجربـة ممتـدة ومتعمّقة فكريـاً وزمنياً لأكثر من خمسـين عاماً في الدعوة للإلحـاد ومحاولة تأصيله فكرياً (حتى إنَّه اشـتُهر عنه قوله: يجب أن يبقى المرء ملحداً حتى يجدَ الدليل التجريبيّ على وجود الإله)، ولكنه مع مزيـد من البحث والتدقيق العلمي والتمحيص والتقصي المعرفي والفلسفي والتفكر العقلاني الواقعي، بدل رأيه، وغيّر قناعته، واتجه إلى الإيمان بوجود إله، معلناً في كتابه، تَخَلِّيه الكامل عن الإلحاد.

وهنا تكمـنُ أهمِّيَّة هذا الكتاب، من تجربة صاحبه المفيدة والغنية والواسـعة، التي يمكن أن تتحول إلى نبراس ومَعين حقيقيّ لكثير من شـبابنا المسلم التائه والضائع والمتغرّب، والرافض أساسـاً لفكرة الإيمان، أو بالحـد الأدنى الضعيف في بنيته العقائديّـة والروحيّة، مما قد يعرضه للسقوط أمام أبسط هجوم فكري قد تشنه قوى الإلحاد المتسعة دوائرها في عالمنا المعاصر.

وسـنحاول في هذه العجالة الفكريَّة اسـتعراض أهم فصول هذا الكتاب وآرائه لأننا نعتقد أن كتاب يثري مكتبتنا العربيّة ويغنيها كمرجع مهمٍّ ونوعي مطلوب.

■ مقدّمة المؤلف

يبدأ المؤلِّفُ (أنتوني فلو) كتابَه بمقدمة مهمَّة يُسلّطُ فيها الضوء على أهم أسباب تحوُّله للإيمان بوجود إله، بعدما انغمسَ -على مدى عقود سـابقة من حياته- في فكرِ الإلحاد، وكانَ أحد رموزه ودعاته ومراجعه العالميِّيْن، حيثُ يجيبُ في البداية على سـؤال اسـتهجانيٍّ طرحه عليه كثيرون حـول حدوث هذا التحول في حياتـه، فيقول: «منذُ أنْ أعلنتُ عن تحـوُّلي إلى الألوهيَّة، طُلِبَ منِّي في مناسـبات كثيرةٍ جداً بيان أسباب تغيير وجهة نظري.. انتهيتُ إلى القناعة بأنْ أعرضَ ما يمكن تسـميَتُهُ وصيَّتي وشـهادتي الأخيرة.. باختصار -وكما يدلّ عنوان الكتاب- أنا أعتقدُ الآن بأنَّ هناك إلهاً». (راجع: أنتوني فلو، هناك إله-كيف غيّر أشـهر ملحد رأيه، طبعة العتبة العباسـية المقدَّسـة، العراق/بغداد، ط3/، عـام 2017م، ص5).. ثم يتابع المؤلف قائلاً: «في البدايةِ لا بدَّ أنْ أكونَ واضحاً، عندما انتشرت أخبارُ تحوُّلي في وسـائلِ الإعلام وعلى شبكة الإنترنت، سارَعَ بعـضُ المُعلِّقين إلى الادِّعاءِ بأنَّ تقدُّمي في العمر أثَّرَ في (تحوُّلي).. لقد قيل: إنَّ الخوفَ هيمَنَ عـلى عقلي بقوَّة، وقد انتهى هؤلاء المنتقـدون إلى أنَّ توقعات الدخول إلى عالَم ما بعدَ الموت

حفَّزَت لديَّ ما يسمى بـــ(تحوّل فراش الموت Deathbed conversion).. ولكن من الواضحِ أنَّ هؤلاء الأشــخاص لم يكونوا مطَّلعين عــلى كتاباتي عن اللاوجود بعد الموت، وهم ليســوا مطَّلعين كذلك على آرائي الحاليّة حول هذا الموضوع.. وعلى مدى أكثر من خمســين ســنة لم أُنكِر وجودَ إلهٍ فحسْــب، بل أنكرتُ أيضاً وجودَ حياةٍ بعد الموت.. ومحاضراتي التي نُشِرَت في كتابِ (منطقُ الفناء) تمُثِّلُ ذروة هذا المنهج من التفكير. فهذا مجالٌ من المجالاتِ التي لم أُغيِّرْ وجهةَ نظري فيها».(راجع: أنتوني فلو، هناك إله، مصدر سابق، ص6).

..خصّصَ المؤلفُ الفصولَ الثلاثة الأولى من كتابه (وهي فصول تابعة للقسم الأول المعنون بـــــ«إنكاري للمقدَّس») للحديث عن ســيرورة تحوُّله إلى إنسانٍ ملحد، وأما الفصول السبعة المتبقية (من القســم الثاني المعنون بـــــ «اكتشاف المقدَّس») فقدْ أفردها المؤلف للإجابة عن سؤال كيفيَّة وصوله للإيمان واكتشافه للإله والمقدَّس الدينيّ..

■ القسمُ الأوّل: إنكاري للمقدَّس

يتألفُ هذا القســم كما قلنا من ثلاثة فصول سلط فيها الكاتب الضوء على مرحلة الإلحاد في حياته، مع أنه نشأ ضمن أسرة متديِّنة وملتزمة، لكنه لم يحصل في بداية حياته على إجابات عقلية وافية وشــافية عن كثير من الأسئلة التي طرحها حول معنى الحياة والغاية منها، وطبيعة الطقوس الدينيّة التي تمارس أمامه في مجتمعه الصغير والكبير.. حتى إنَّه -كما يقول- لم يشعر بوجود أية رغبة لديه لممارســة الطقوس التي كان يمارسها والده، قائلاً: «لا أتذكَّر أنّني كنتُ أشعر باهتمامٍ أو حماســةٍ لهذه الاحتفالات.. ولم يكن عقلي مأســوراً ولا قلبي مولعاً (حســب تعبير ويسْــلي الشَّــهير) بالدِّراسة المسيحيَّة أو بالعبادة. لا أدري إذا ما كان عدم حماستي للدِّينِ في أيَّام شبابي ســبباً أم نتيجةً؟ أو كليهما معاً؟ ولكن أســتطيعُ القول: إنّ أي قَدْر من الإيمانِ كانَ موجوداً لدي عندما دخلْتُ مدرســة «كنغزوود»، كانَ قد تلاشى مــع تخرُّجي منها». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص17).

ويتابعُ المؤلف حديثه عن الإرهاصات الأولى لســيرورته ملْحداً في محاولاته الفكريَّة والمعرفيَّة الأولى خلال دراســته الجامعية في أكســفورد وتأثّــره بكتابات وأفكار كثير من الفلاســفة من ذوي الاتجاهات الماديَّة الإلحادية وعلى رأسهم الفيلسوف لودفيغ فتجنشتين (Wittgenstein Ludwig).

وعن مسبِّبات (ودوافع) إلحاده يتحدثُ المؤلفُ قائلاً: «بعض آرائي الفلسفية تشكَّلتْ حتَّى قبْلَ أنْ أدخُلَ إلى مدرسةِ كنغزوود (مدرسة إعدادية). لقد كنْتُ معتنقاً الشُّيوعيّة في فترةِ تسجيلي في المدرسة، وقد بقيتُ كاشتراكيٍّ يساريٍّ نشيطاً حتى بدايةِ الخمسينيَّات من القَرْنِ الماضي، عندما استقلْتُ من حزْبِ العُمال، وهو الحِزْبُ الذي يُمثِّلُ تاريخياً الحركةَ اليساريةَ في بريطانيا». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص45). ويشير الكاتب إلى أنَّه أخفى إلحاده عن أسرته (خاصة والديه) من أجل الحفاظ على استقرار الأسرة، ومنع اهتزاز علاقته بها، ولكن هذه الرغبة والشعور النفسي لم يستمرَّا طويلاً إذْ سرعانَ ما وصلتْ لمسامع الأهل نقاشاته وحواراته وسجالاته مع أصدقائه وأساتذته في جامعة أوكسفورد، كانَ يدافعُ فيها عن قناعته بالإلحاد.. حيثُ وجدَ في المبدأ السّقراطيّ القائل «اتَّبع الدليل أينما قادك»، هو المبدأ الموجّه في تطوير بعض رؤاه الفلسفية وتعديلها.. يقولُ الكاتب: «الأُسُس التي بنيْتُ عليها اقتناعي بالإلحاد -عندما كنْتُ في الخامسة عشرة- كانت ناقصةً بوضوح. لقد كانتْ مبنيَّةً على ما أسميتُهُ لاحقاً (عناد صغار السن):

-1مشكلةُ الشَّرِّ كانت بالنِّسبةِ إليَّ دحضاً حاسماً لوجودِ إلهٍ كاملِ الخيرِ وكاملِ القُدْرة.

-2 و(الدِّفاعُ عن حُرِّيةِ الإرادة) لا يعفي الخالقَ من مسؤوليَّة عدم إتقان الخَلْق.. منذ أيام المدرسة، أوليتُ اهتماماً إضافياً للأسبابِ المؤيِّدة والمضادَّة في الوصولِ إلى النتائج الإلحادية. بدايتي تمثَّلت في عمليَّةِ البحث في مقالةِ (اللاهوت والتَّكذيب). وقد تم عرْض المقالة لأوَّل مرَّة في صيفِ عام 1950م في النَّادي السُّقراطي في أكسفورد. وتمَّ بعد ذلك نشْرُها في مجلَّة لطلبة البكالوريوس، اسمُها (الجامعة)».(راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص59-60).

ويسلط الكاتبُ -في عنوان آخر «الإله والفلسفة»- الحديث على أحد كتبه وهو كتاب «الله والفلسفة»، حيث نبّه فيه «إلى أنَّ هناك ثلاثةَ موضوعاتٍ بالتَّحديد يجبُ الإجابةُ عنها فيما يخُصُّ مفهومَ الإله:

1 -كيف يمكنُ تعريفُ الإله؟!

2 -كيفَ يمكنُ تطبيقُ التَّعبيرات الإيجابية والسَّلْبية (غير الماديَّة) على الإله؟!

3 -كيفَ يمكنُ تفسير عدم التوافُق بين تعريفِ صفات الإله مع حقائقَ لا يمكنُ إنكارُها؟ مثال: (كيف يمكن تفسير وجود الأمراض في العالَم مع وجودِ إلهٍ قادر؟)». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص69).

■ فرَضيَّة الإلحاد:

يتابع الكاتب حديثه التاريخيّ الشـاق قائـلاً: «بعد مرورِ عقدٍ من الزَّمن على نشْر كتاب (الإله والفَلْسفة)، قُمْتُ بكتابة مقالة (فرضيَّة الإلحاد) نُشِرَت في الولاياتِ المتَّحدة تحتَ عنوان: (الإله والحُرِّية والخُلُـود). في هذا الكتاب، جادلْتُ في أنَّ النِّقاشَ حولَ وجود الإله يجبُ أنْ يبدأَ من فرَضيَّةِ الإلحاد، وأنَّ عبءَ الإثبات يجبُ أنْ يكونَ على المؤمنينَ بالإله.. هذا النهج الجديد يضع مسـألة وجود الإله في منظور جديد بشـكل كامل». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص74)... يضيف المؤلف: «..وأنّ استخدام المؤمنين بالإله لكلمة (الإله) يجبُ أنْ يُقدِّم معنىً يجعلُ من الممكنِ نظريّاً لهذا الكائـن الواقعيِّ أنْ يُوصَف. توصَّلْتُ إلى نتيجةٍ مُفادُها أنَّه مع هذا المنظورِ الجديـد يظهَرُ مشروعُ الإيمان بالإله بأكملِه متزعزعاً أكثرَ عما كان عليه من قبل». (راجع: هناك إله، مصدر سـابق، ص74).. يضيف الكاتب: «..حتَّى نؤمن بأنَّ هناك إلهاً، لا بدَّ أنْ تكون لدينا مُـبرِّرات جيِّدة للاعتقـاد... والموقفُ المعقولُ الوحيدُ هـو أنْ تكونَ مُلْحداً سـلْبيّاً، أو لاأدْريّا (agnostic). وهذا يشبهُ كثيراً قاعدة (أصْل البراءة)، التي يستندُ عليها القانونُ العامّ الإنكليزي». [أي المتَّهم بريء حتى تثبت إدانته]. (انظر: هناك إله، مصدر سابق، ص75)..

ويشـير الكاتب في موقع آخر إلى أنَّ الفيلسـوف التوماويّ «رالف ماكلنيرني» (توماوي نسبة إلى توما الأكويني) كان «يرى أنَّ من الطبيعيّ للإنسـان أنْ يعتقدَ بالإله بسببِ النِّظام، والتَّرتيب، والقوانين التي تحكُمُ الأحداثَ التي تقعُ في الطَّبيعة. ولذلكَ كثيراً ما يقول: إنَّ فكرةَ وجود الإله هي فكرةٌ فطريَّةٌ، وتبدو كمُسلَّمة تقفُ ضد الإلحاد. لذا فإنَّه في حين جادلَ بلانتِنْغا بأنَّ الموحِّدينَ (المؤمنين)، لا يتحمَّلونَ عبءَ الإثبات، ذهـبَ ماكلنيرني أبعدَ من ذلكَ بالقولِ: إنَّ المُلْحدينَ هم من يتحمَّل عبءَ الإثبات!». (انظر: هناك إله، م. س، ص77).

■ تغيير وجهة نظري:

يعـترف المؤلف بأنَّه غيّر وجهة نظره حول قضيّة الإيمان والإلحاد أكثر من مرة، ويؤكد أنَّ هذا «ينبغي ألا يكون مستغرباً بالطبع، إذا أخذنا بالاعتبارِ اعتقاداتي المُتعلِّقة بإمكانيةِ إحراز تطوُّر في الفلسـفة، وبمبدأ اتِّباعِ الدَّليل أينما قادني. عندما كنْتُ أقـومُ بالتَّدريسِ في جامعةِ كيبل في عامِ (1966م) كتبْتُ كتاباً عن بحثِ هيوم (تحقيقٌ في الفهمِ الإنساني)، بعنوان (فلْسفة في الاعتقاد).

حتى ذلك الحين، كان يتمُّ التعامل مع تحقيقِ هيوم (عادةً يقال له: الـــــ(التحقيق) الأول لتمييزه عــن كتابه اللاحق. (تحقيقٌ في مبادئ الأخلاق)) على عكس ما جال في ذهنِ المؤلِّف بوصفِها مجرَّد مقتطفات. لكن الآن، هذه المقتطفات تُعدُّ أعظم أعمال هيوم». (راجع: هناك إله، م. س، ص79).

■ الاحتفاظ بأسلحتي:

ويشــير الكاتب في موقع آخر من كتابه إلى طبيعة الأســباب والدوافــع التي قادته إلى لاعتقاد بأنَّ الكونَ كالكتاب المفتوح ليس له من بداية، وأنه «ســيظلُّ دون نهاية. وفي الحقيقةِ، أعرفُ أنْ لا جــدوى من تحدِّي أيٍّ من هذينِ الاعتقادين... وأعتقدُ أنَّ الكائنات الحيَّة تطوَّرت على مدى فترةٍ طويلة لا يمكنُ حسابُها من موادَّ غير حيَّة». (راجع: هناك إله، م. س، ص96).. وهذا يعني أنَّ المؤلِّف كان في البداية لا يرى ضرورة لوجود إله لأن الكون -بحســب رؤيته تلك- وجد من دون موجد، وهو خلق نفســه بنفســه من عدم وبالمصادفة العمياء.. حيــث إنَّ عدم وجود بداية تعني بالمحصَّلة عدم الحاجة إلى إله..!!. والأمر نفسه ينطبق على موضوع بدء الحياة وظهورها من مادَّة غير حيَّة بحســب اعتقاده.. ومع توالي مناظراته التي كان يحاول فيها الدفاع عن موقفه الإلحاديّ وعدم قناعته بوجود إله، ومع خوضه لســجالات كثيرة مع شــخصيات فلسفيّة ودينيّة وغيرها، والتوسّــع في عرض نظريَّة الانفجار العظيم (big bang) -التــي تؤكِّد علميّاً أن الكون مخلــوق منذ نحْوِ 13,8 مليار ســنة، بما يعني ضمنــاً أنّه له بداية و نهاية، وأنَّــه لا بدَّ له من مدبِّر وصانع وعلق كونيٍّ واسع وكليِّ القدرة- بدأت أفكار الإيمان تتغلغل في داخله، خاصة في مناظرته المشهورة في نيويورك (عام 2004م) التي ركز عليها المؤلف في كتابه هذا.

ظهوري الأول في نيويورك:

يتحدث الكاتب قائــلاً: «المناظرةُ العموميةُ الأخيرة لي، كانت في نــدوةٍ في جامعةِ نيويورك، وتمَّــتْ في مايو من عام (2004م).. المشــاركونَ الآخرون كانوا هــم: العالِم الإسرائيلي جيرالد شرويدر (Gerald schroeder) مؤلِّف أفضل الكُتُب مبيعاً في مجالِ العِلْمِ والدِّين، وهو بعنوان: عِلْمُ الإله (Science of God). أيضاً كان من ضِمْنِ المشــاركين الفيلســوفُ الأسكتلندي جون هالدين(John Haldane) مشــاركاً في مناظرةِ (التَّوحيد والإلحاد) حولَ وجود الإله إلى جانبِ

صديقي جاك سمارت (Jack smart). وكمفاجأة لجميعِ المهتمّين، أعلنْتُ في البدايةِ أنّني الآن بِتُّ أقبل بوجودِ إله، ما اعتُبِرَ في وقتِـه تبادُلاً حادّاً لوجهاتِ النَّظر المتعارضة في أثناءَ المناظرة، انتهى إلى أنْ يُصبحَ بحثاً مشـتركاً في التطوُّراتِ العِلْمية الحديثة، التي يبدو أنَّها تشـيرُ إلى ذكاءٍ خارق. في الفيديو الذي عُرِضَ في الندوة، ادَّعى عريفُ الندوة أنَّ أعظَمَ اكتشافات العلْم الحديث هو الإله». (أنظر: هناك إله، م. س، ص105-106).. ويتابع: «وعندما سُـئِلْتُ في هذه الندوةِ إنْ كان بحثي حولَ أصل الحياة يُشيرُ إلى ذكاءٍ إبداعيٍّ، أجبْتُ بالقول: (نعم، أنا الآن أعتقدُ بذلك... على نحوٍ كاملٍ تقريباً بسـبب اكتشـافات الحمض النووي (DNA). ما قدَّمَهُ اكتشافُ الحمض النوويّ -كما أعتقد- هو أنَّه أوضَحَ التَّعقيدَ الشَّديد غير القابل للتَّصديق للترتيباتِ اللازمة لخَلْق (حيـاة)، وهو الأمرُ الذي يوجبُ أنْ يكون هناك ذكاءٌ خارقٌ يجعلُ هذه العناصر المختلفة تعملُ معاً. إنَّه التَّعقيدُ الخارقُ لهذه العنـاصر والدِّقَّةُ الهائلةُ في الطُّرُقِ التي تتفاعل فيما بينها. اجتماعُ هذينِ الأمرين (التَّعقيد والدِّقة) في الوقتِ المناسـب بالمصادفةِ أمرٌ -بكلِّ وضوح- مستحيلٌ)». (راجع: هناك إله، م. س، ص106).

ويتحـدث المؤلـف تأثّره «على نحوٍ خـاصٍّ بالتفنيـد المفضّل الذي قام بـه جيري شرويدر (Gerald schroeder) لما أسميْتُهُ (مُبرْهَنةُ القِرْود theorem Monkey). هذه الفكرةُ، التي قُدِّمَت بطُـرُقٍ مختلفـة، تُدافِعُ عن احتمالِ حدوث الحيـاة بالمصادفة، من خلالِ اسـتخدام مثال قيام مجموعة من القِرَدة بالعبَثِ على لوحةِ مفاتيح الكمبيوتر، ليُنْتِجَ هذا العبث في النِّهايةِ كتابة قصيدة (Sonnet) لشكسبير.. أشـارَ شرويدر في البدايةِ إلى تجربةٍ قامَ بها المجلسُ الوطنيّ البريطانيّ للفنون. حيثُ تمَّ وضْعُ كمبيوتر في قفصٍ بداخلِهِ سـتَّةُ قُرُود. وبعد شـهرٍ من العبَثِ بالكمبيوتر (بالإضافةِ لاسـتخدامه كمرحاض!) أنتجت القرودُ خمسينَ صفحة مكتوبة، لكن من دون كلمة واحـدة تامّة. وقد علَّقَ شرويدر بالقـول: إنَّ هذه كانت هي النتيجة، بالرَّغمِ من أنَّ الكلمةَ باللُّغة الإنجليزيـة يمكـن أنْ تتكوَّنَ من حرْفٍ واحدٍ فقط (a) أو (i) فالحـرف (a) يمكنُ أنْ يُمثِّلَ كلمةً إذا كان هناك مسافة إمَّا عن يمينِه أو يسارِه. فإذا أخذنا بالاعتبارِ أنَّ هناك ثلاثينَ حرْفاً ورقماً على لوحـةِ المفاتيح، فإنَّ احتمالَ الحصول على كلمةٍ مُكوَّنةٍ من حرْفٍ واحد هو (30X30 X30) أي 27000. وعندهـا يكونُ احتمالُ الحصول على كلمةٍ من حَـرْفٍ واحدٍ هو أي (1: 27000). بعد ذلك قامَ شرويدر بتطبيقِ قوانين الاحتمال على مثالِ السُّونيتة. وتساءلَ: (ما هي فرصة الحصول

على قصيدةِ السُّونيتة لشكسبير؟!). فيستنتج أنَّه لا يمكن إطلاقاً كتابة سونيتة شكسبيرية». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص106-107). أي أنَّ التجربة المسماة (مبرهنة القرود) أثبتت للكاتب أنَّه لا يمكنُ للكون أنْ يُخلقَ وحده وبنفسه، وأنّ الحياة لم تأتِ من المصادفة العمياء.. وهنا يكتبُ المؤلفُ النتيجة المهمَّة في تعليقه: «فمن المؤكَّد أنَّ من المستحيل القول بأنَّ عملاً رائعاً مثل أصْل الحياة (أي نشأة حياة من مادة غير حيَّة) حدَثَ بالمصادفة». (راجع: هناك إله، م. س، ص108).

■ القسمُ الثّاني: اكتشافي للمقدَّس

في بداية هذا القسم يعلنها الكاتب: «أنا الآن أُؤمنُ بأنَّ الكونَ قد جاء إلى الوجودِ بوساطة ذكاء لا محدود. أنا أُؤمنُ بأنّ قوانينَ الكون المُعقَّدة تُبيِّنُ ما أسْماهُ العلماء (عقْلُ الله). أنا أُؤمنُ بأنَّ الحياةَ وإعادةَ الخلْقِ أساسُها مصدرٌ إلهي.. لماذا أُؤمنُ بذلك، مع الأخذِ بالاعتبار أنيِّ دافَعْتُ عن الإلحادِ لأكثرَ من نصْفِ قَرْن؟ الجوابُ المختصر هو هذا: هذه هي صورةُ العالَم، كما أراها، التي انبثقت من العلْم الحديث. العلْمُ سلَّطَ الضَّوءَ على ثلاثةِ أبعادٍ للطَّبيعة تُشيرُ إلى الإله:

الأوَّلُ هو حقيقةُ أنَّ الطَّبيعةَ تخضَعُ القوانين.

الثاني هو بُعْدُ الحياة، في الكائنات الذَّكية المُنظَّمة والمسوقة بغاياتٍ، والتي نتجَت عن المادَّة.

الثالثُ هو الوجودُ الفعلي للطَّبيعة.

ولكن ليسَ العِلْمُ فقط هو من قادني إلى ذلك. أنا استفَدْتُ أيضاً من الدِّراسةِ المُسْتحدثة للحُجَجِ الفَلْسفيةِ التقليدية». (أنظر: هناك إله، م. س، ص121).

وهنا يسألُ الكاتبُ -وهو الفيلسوف الباحث المتأمل والمدقق- سؤالاً حول سبب حديثه عن موضوعات عالجها علماء؟! فيقول: «إنَّ أفضلَ جوابٍ على هذا السؤال هو بطرحِ سؤال آخر: هل نحنُ منخرطون في العلم أم بالفلسفة؟!.. عندما تدرُس التَّفاعُل الدَّاخلي المُتبادل بين جسْمينِ ماديَّيْن، ولنقُل على سبيلِ المثال، اثنين من الجُسَيْمات دون الذرِّية [subatomic particles]، فأنتَ منخرطٌ بالعلْم. وعندما تسأَل: كيفَ ولماذا توجد هذه الجُسَيْمات -أو (أيّ) جسْم مادِّي- فأنتَ منخرطٌ بالفَلْسفة. وعندما تستنتجُ نتائجَ فَلْسفيّة من معطياتٍ علْميَّة، فأنتَ تُفكِّرُ كفيلسوف». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص122).. ويقدِّم لنا الكاتبُ عالمِ الفيزياء

ألبرت آينشـتاين نموذجًا مستشـهداً بقوله: «رجُلُ العِلْمِ هو فيلسـوفٌ ضعيف». ويعلق قائلاً: «لحُسْنِ الحظِّ، الأمرُ ليس كذلك دائماً. فقادةُ العِلْمِ خلال مئات السِّنين الأخيرة، بالإضافة إلى بعضِ العُلماء المعاصرين الأكثر تأثيراً، بنوا رؤيةً فَلْسـفيةً لكـون عقلانيٍّ انبثَقَ من عقلٍ إلهيٍّ. وكذلـك الحالُ معي، فهذه هي رُؤيتي الخاصَّة عن العالَم، التي أَجِدُها الآن قائمةً على تفسـيرٍ فَلْسفيٍّ للعديدِ من الظَّواهرِ التي واجَهَها العُلماءُ والناسُ العاديُّونَ على حدٍّ سواء». (انظر: هناك إلـه، م. س، ص124).. ويتابع الكاتب: «هناك ثلاثةُ أبعادٍ من التَّحقيقِ العلميِّ كانت على وجه الخصوص مهمَّة بالنِّسبةِ إليّ، سأضَعُها في الحُسْبانِ كلَّما تقدَّمْتُ في هذا الكتاب في ضوءِ الأدلَّةَ المتداولة اليوم: أوَّلُ هذه الأبعاد هو السُّؤالُ الذي حيَّرَ ولا زالَ يُحيرُّ الكثيرَ من العُلماءِ اللَّامعين، وهو من أينَ جاءتْ قوانينُ الطَّبيعة؟ والثاني، هو السُّؤالُ الواضحُ للجميع: كيفَ جاءتْ الحياةُ كظواهر عضوية من اللَّا حياة؟ والثالثُ، هو السُّؤالُ الذي يُوجِّهُهُ الفلاسفةُ لعُلماءِ الكون: كيف جاءَ الكونُ - بكُلِّ ما يحتويهِ من أشـياء ماديَّة- إلى الوجود؟». (راجع: هناك إله، مصدر سـابق، ص124-126).

■ عودة الحكمة:

يتحـدَّث الكاتب هنا عن أن أكثر ما أقنعه في هذا الحقل هو «حُجَّةُ الفيلسـوف ديفيد كونوي (فيلسوف إنكليزي معاصر في جامعة ميدلسيكس) المؤيِّدة لوجودِ إلهٍ في كتابِه (عودةُ الحكمة).. الإلهُ الذي دافَعَ كونوي عن وجودِه، وأنا كذلك، هو إلهُ أرسطو، فقد كتَبَ كونوي قائلاً: (خلاصةُ القول: إنَّ أرسطو قد حدَّدَ الصِّفاتَ التالية للكائنِ الذي يُفسِّرُ وجودَ العالَم بمعناهُ الواسع، الثَّبات (غير متحرِّك)، التَّجريد (غيرُ مادِّي)، القُدْرة على كلِّ شيء، العلْمُ بكُل شيء، الوحدانيّة، غيرُ قابلٍ للتجزئة (البساطة)، الخيرُ المُطْلَق، ووجوب الوجود. هناك تشابه عجيبٌ بين هذه الصِّفات وتلك الصِّفات التي ذُكِرَت للإلهِ في التَّقليدِ اليهوديّ/المسـيحيّ. وهذا ما يُبرِّر تماماً قولَنا بأنَّ أرسطو كان في ذهنِهِ الكائن المقدَّس نفسه كمُسبِّبٍ للعالَم، وهو الإلهُ نفسُهُ المعبودُ في كلا الديانتين». (راجع: هناك إله، م. س، ص126-127).

ويواصـل الكاتب حديثه ليؤكـد أنَّ رحلته من الإلحاد إلى الإيمان هـي رحلة تفكّر وعقل، فيقول: «لابدَّ أنْ أُؤكِّدَ أنّ اكتشـافي للأُلوهيَّةِ مبنيٌّ على أساسٍ طبيعيٍّ صرْف، دون الرُّجوع إلى

أيَّة ظواهر تتجاوزُ الطَّبيعة (خارقة). لقد كان اكتشافي للإله عبارةٌ عن ممارسة ما يُسمَّى تقليدياً بـ(اللاَّهوت الطَّبيعي). وليس له صِلَة بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الوحي الدينيّ. ولا أدَّعي أنَّه حصلت لي أيَّة تجربة شخصيَّة مع الإله، أو أيَّة تجربة يمكن اعتبارُها إعجازيّة أو تتجاوز الطَّبيعة. باختصار، اكتشافي للأُلوهيَّة كان عبارةً عن رحلةِ عَقل وليست رحلة إيمان». (انظر: هناك إله، ص127).

..وفي الفصل الخامس من هذا الكتاب والمعنون (مَنْ كَتَبَ قوانينَ الطّبيعة؟) يصل الكاتب إلى نتيجة أنَّ التصميم الذكيَّ للكون دلالة على وجود إله.. يقول: «لعلَّ أكثر الحُجَج الدَّاعمة لوجودِ الإله شُهرةً وقبولاً من الناحية الحدْسيّة تلك التي تُسمَّى بحجة التصميم (from dfsign Argument). وفقاً لهذه الحُجَّة، التَّصميمُ الواضحُ في الطَّبيعةِ يدُلُّ على وجودِ مُصمِّم للكون. كثيراً ما أكَّدْتُ على أنَّها في الواقعِ حُجَّةٌ من النِّظامِ إلى التَّصميم، لأنَّ هذه الحُجَّةَ مستمدَّةٌ من النِّظامِ المُشاهَد في هذا العالَم، ومن خلالِ هذا النِّظام نستدِلُّ على التَّصميم، ومن ثمَّ على المُصمِّم». (راجع: هناك إله، م. س، ص131).

...وتحت عنوان (من كتب كل هذه الكتب؟)، يعود الكاتب أنتوني فلو للعالم ألبرت آينشتاين مستشهداً به في سؤاله: «أُريدُ أنْ أعرفَ كيف خلَقَ الإله العالمَ... أُريدُ أنْ أعرفَ أفكارَهُ، أمَّا الباقي فمجرَّد تفاصيل». وكثيراً ما أشيعَ أنَّ آينشتاين قال: إنَّه يُؤمنُ بإله باروخ سبينوزا، ولأنَّ كلمة (الإله) و(الطبيعة) مترادفتان عند سبينوزا، لذا يمكنُ القولُ بلا تردَّد بأنَّ آينشتاين في نظَرِ اليهود، والمسيحيِّين، والمسلمين كان مُلْحداً، بل كان (الأبَ الرُّوحي لجميعِ المُلْحدين)... ولكن صدَرَ حديثاً كتابٌ بعنوان: (آينشتاين والدِّين/ Religion and Einstein) لماكس جامر، وهو أحدُ أصدقاء آينشتاين، يُقدِّمُ صورةً مختلفةً تماماً عن تأثيرِ سبينوزا على قناعات آينشتاين الشَّخصية. بيَّنَ جامر أنَّ آينشتين كان يعرفُ القليلَ عن سبينوزا، وأنَّه لم يقرأ لسبينوزا سوىٰ كتاب (الأخلاق Ethics)، وقد رفَضَ طلبات متكرِّرة للكتابة عن فَلْسفة سبينوزا. وفي ردِّه على أحد الطلبات، قال آينشتاين: إنَّه لا يملكُ معرفةً متخصِّصةً ليكتُبَ مقالةً علْميَّةً عن سبينوزا. رغمَّ أنَّ آينشتاين يشترِكُ مع سبينوزا في الإيمان بالحَتْميَّة (Determinism)، إلا أنَّ جامر يرى أنَّه من المُصْطنَع وغير المُسوَّغ، الافتراض بأنَّ أفكارَ سبينوزا أثَّرَت على فِكْرِ آينشتين. لحَظَ جامر أيضاً أنَّ (آينشتاين شعَرَ بأنَّه قريبٌ من سبينوزا، لأنَّهما يشتركانِ في حاجتِهما إلى الانعزال، بالإضافةِ إلى قدَرِهما بأنْ يتمَّ

قراءتهُما ضمن التُّراث اليهودي، لكن في النِّهايةِ يَبْقيا غرباء عن التُّراثِ الدينيّ).

وعلى الرغمَ من أنَّ آينشتين أشارَ إلى إيمانِ سبينوزا بوحدةِ الوجود [pantheism]، إلا أنَّه في الحقيقـةِ عبرَّ عن إنكارهِ أنْ يكون مُلْحِداً أو مؤمناً بوحدةِ الوجود، فقد كتَب: أنا لسْـتُ مُلْحداً، ولا يمكـن أنْ أعتبرَ نفْسي مؤمناً بوحدةِ الوجود. نحن في موقـفِ طِفْلٍ صغيرٍ دخَلَ إلى مكتبةٍ كبيرةٍ مملوءة بكُتُـبٍ بلُغاتٍ مختلفة. والطِّفْلُ يعرفُ أنَّه يجب أنْ يكون هناكَ شـخصٌ ما كتَبَ هـذه الكُتُب. ولكنَّه لا يعرفُ كيف؟ هو لا يفهَمُ اللُّغةَ التـي كُتِبَت بها هذه الكُتُب. الطِّفْلُ يظُنُّ بنحـو خافت بأنَّ هذه الكُتُب مرتَّبَةً بطريقة غامضة، لكنَّه لا يعـرف ما هي هذه الطَّريقة. وهذا، كما يبدو لي، هو اتِّجاهُ أذكى شَـخْصٍ تجاهَ الإله. نحنُ نـرى العالَمَ مُنظَّماً بطريقةٍ رائعة، ويتَّبع قوانـينَ معيَّنة، لكنَّنا نفهمُ على نحوٍ خافـتٍ فقط هذه القوانين. عقولُنا المحـدودة تدرِكُ القوَّةَ الغامضةَ التي تُحرِّكُ هذه الكويكبات.» جامر لاحظَ، على سبيلِ المثال، أنَّ آينشتاين احتجَّ بنحو متواصل ضدَّ اعتبارِهِ مُلْحِداً. وقد أعلَنَ في محادثةٍ مع الأميرِ هيبرتس أمير لونشتين (Hubertus of Lowenstein) قائلاً: ما يجعلُني أشـعُرُ بالغضَبِ فعلاً هو أنَّ الناسَ الذين يقولونَ بأنَّ الإله لا وجودَ لَهُ يسْتشـهدُونَ بكلامي لتأييدِ آرائهم. (نفى آينشـتاين اعتناقَـهُ الإلحاد لأنَّه لم يجد أنَّ إنكارَهُ للإله الشَّـخصي (personal God) يعني أبداً إنكاراً لوجودِ إلـه)». (انظر: هناك إله، م. س، ص135-136).

وهكذا ينتهي جامر إلى «أن آينشـتين -كما هو حال موسىٰ بن ميمون وسـبينوزا- رفض بشكلٍ قاطعٍ أيَّ نوعٍ من التَّجسـيم في الفكرِ الدينيّ، ولكن على خلافِ سـبينوزا، الذي رأى أنَّ النَّتيجةَ المنطقية لإنكارِ الإله الشَّـخصي يجعل الإله في هويَّةٍ مشـتركةٍ مع الطَّبيعة، آينشتاين أصرَّ على أنَّ اللهَ يكشِـفُ عن ذاتِه (في قوانين الكون كرُوحٍ أعظم من تلك التي للإنسـان، وعلى المَرْءِ في مواجهةِ ذلك -بما يملكُ من قوى هزيلة- أنْ يشْـعُرَ بالتَّواضع). آينشـتين اتَّفَقَ مع سبينوزا في أنَّ من يعرفِ الطَّبيعة يعرفُ الإله، لكن ليس لأنَّ الطَّبيعة هي الإله، بل لأنَّ مواصلةَ العِلْم في دراسةِ الطَّبيعـةِ الثِّقة بالطَّبيعةِ العقلانية للواقـع، وقُدْرتها الخاصَّة على الوصولِ إلى العقلِ البشري. في حين أنَّ هذه الثِّقة يفتقرُ إليها العِلْمُ، حيثُ ينحطُّ إلى إجراءٍ لا روحَ فيه. إنْ أرادَ الكهنةُ جعلَ هذا هو رأسَ مالِهم فهذا شأنُهُم. فليس هناك علاجٌ لذلك يقودُ إلى الدِّين». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص137)..

■ عقل آينشتين المتفوِّق:

يعود الكاتب إلى الاستشهاد بمقولات لآينشتاين منها: «..(تديُّني يتضمَّنُ تقديراً خاضعاً للرُّوحِ المتفوِّقة اللَّانهائيَّة التي تُظهرُ نفسَها في أدقِّ التفاصيل التي نستطيعُ إدراكَها بعقولٍ واهيةٍ وضعيفة. هذه القناعةُ العاطفيةُ العميقةُ بوجودِ القوَّة المنطقيَّة الفائقة التي تتجلَّى في الكونِ الذي لا يمكن الإحاطةُ به، هو الذي شكَّلَ فكرتي عن الإله)». (انظر: هناك إله، م. س، ص139).

■ قفزات كوانتيمية (جبارة نحو الإله):

يتابع الكاتب حديثه حول العالم آينشتاني قائلاً: «آينشتين، وهو مكتشفُ النظرية النِّسبيَّة، ليس العالِم العظيم الوحيد الذي رأى ربْطاً بين قوانين الطَّبيعة وعقلِ الإله. رُوَّاد فيزياء الكوانتم، وهم عظـماء آخرون من المكتشـفين في الزَّمنِ الحديث، أمثال ماكس بلانـك، ورِنر هيزنبيرغ، إرْوِن شروندجر، وبول ديراك، كلُّ هؤلاء صدرت عنهم عبارات متشابهة (بخصوص الرَّبط بين قوانين الطَّبيعة وعقلِ الإله». (انظر: هناك إله، م. س، 140).

ويعطينا الكاتـب رأياً آخر في مجال البحث عن وجود الإله الصانع والخالق، وهو لعالِم كبير آخر، (تشـارلز داروِيـن أو دارْوِن)، صاحب نظرية التطوّر وأصل الأنـواع.. حيث يقول: «وقبلَ أجيال من هؤلاءِ العلماء، أكَّدَ تشـارلز دارْوِن على الفكرةِ ذاتها بقوله:»...((العقلُ يقولُ لي): إنَّه من الصَّعبِ بدرجةٍ كبيرة، بل من المسـتحيل، أنْ نُدركَ هـذا الكونَ الهائل والرائع، بما في ذلك الإنسـان مع قابليَّتِه على النَّظرِ إلى الماضي البعيد، والذَّهاب بذهنِه إلى المستقبلِ البعيد، ليقولَ بعـد ذلك بأنَّ هذا الكون قد حدَثَ بصُدْفةٍ عميـاء أو ضرورة. عندما أتأمَّلُ في ذلك، أجدُ نفسي مُضْطرَّاً للتطلُّع إلى السَّببِ الأوَّل الذي يمتلكُ عقلاً ذكيّاً يُشابِهُ بدرجةٍ ما الإنسان؛ عندها أستحِقُّ أنْ أُوصَفَ بالموحدّ))..».(انظر: هناك إله، م. س، ص143-144).

وفي الفصل السـادس -مـن هذا الكتاب- والمعنـون بـــ(هل عرف الكـون أنّنا قادمون؟)، يستعرض لنا الكاتب الدقة العظيمة للقوانين والنواميس البديعة الشديدة التنظيم (المعروفة حتى الآن) التي تنظم وتدير حركة هذا الكون، وأنه لو حدث أي تغير بسـيط أو جزئي في واحد منها، لانعدمـت الحيـاة البشريـة والطبيعية ليس على هـذه الأرض فقط ، بل في الكـون كلِّه.. وكأنَّ التصميم الذكيَّ وفرها لبناء الحياة واسـتمرارها.. وضمن عنوان فرعـي (كوننا الدقيق) يتحدث

الكاتب قائلاً: «الشُّهرة المعاصرة لهذه الحُجَّة تُسلِّطُ الضَّوءَ على بُعْدٍ جديدٍ لقوانينِ الطَّبيعة. كتَبَ عالِمُ الفيزياء (فريمان دايسون) قائلاً: (كلَّما قُمْتُ بفحصِ هذا الكون، ودرسْتُ تفاصيلَ تكوينِه، أجدُ دليلاً إضافياً على أنَّ الكونَ بمعنى ما كانَ يعلَمُ بأنَّنا قادمون). وبعبارةٍ أُخرى: يبدو أنَّ قوانينَ الطَّبيعة صُمِّمت على نحوٍ يُحرِّكُ العالَمَ باتِّجاهِ نشأة حياة. هذا هو المبدأُ الأنثروبي، الذي أصبحَ مشهوراً بفَضْلِ مفكِّرينَ من أمثال مارتن ريز، و جون بارو، وجون ليسْلي». (انظر: هناك إله، م. س، ص155).. ويتابع الكاتب (أنتوني فلو): «دعنا نأخُذْ أبْسَط قوانين الفيزياء مثالاً على ذلك. لقد تمَّ حسابُ أنَّه لو تغيَّرَ حتّى لو واحد فقط من الثوابتِ الأساسية -على سبيلِ المثال سرعة الضَّوء أو كتلة الإلكترون- بدرجةٍ مختلفة قليلاً، فإنَّه لن يكون هناك كوكبٌ قادرٌ على توفيرِ البيئة المناسبة لحياةِ الإنسان. لقد تمَّ تفسيرُ هذا التوافقَ الدَّقيق بطريقين: بعضُ العُلماء قالَ بأنَّ هذا التوافقَ الدَّقيق دالٌّ على التَّصميمِ الإلهي؛ كثيرونَ آخرون خمَّنوا أنَّ كونَنا هو كونٌ من ضمنِ أكوانٌ أُخرى -(أكوانٌ متعدِّدة)- مع فارق أنَّ كونَنا هُيِّءَ لكي يُوفِّرَ الشُّروط اللازمة للحياة. عملياً لا يدَّعي أيُّ عالِمٍ معروفٍ اليوم أنَّ التوافقَ الدَّقيق كان على نحوٍ صِرْف نتيجةً لعواملِ المصادفة في كونٍ واحد». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص156).

ويتنقل الكاتب في عدّة فصول متلاحقة (من السابع وحتى العاشر) وضعها بالترتيب العقلانيّ والعلميّ الحكيم والواعي، وصولاً إلى «النتيجة-الحقيقة» التي قادته إليها تأملاته وتجاربه وتقصيّاته المعرفيَّة، شارحاً ومحللاً ومتدبراً، حول فلسفة الإيمان التي وصل إليها، فيقول: «أنا الآن أُؤمنُ بأنَّ الكونَ قد جاء إلى الوجودِ بواسطة ذكاءٍ لا محدود، أنا أُؤمنُ بأنَّ قوانينَ الكونِ المُعقَّدة تُبيِّنُ ما أسْماهُ العلماء (عقْلُ الله). أنا أُؤمنُ بأنَّ الحياةَ وإعادةَ الخلْقِ أساسُها مصدرٌ إلهي». (أنظر: هناك إله، مصدر سابق، ص212).

وضع الكاتب في نهاية كتابه ملحقين، حيث يقول عنهما: «لقد ألحقْتُ هذين الملحقين في كتابي هذا لأنهَّما معاً أمثلة لاستدلالٍ قادني إلى تغييرِ وجهة نظري حولَ وجود الإله. لقد شعرْتُ أنَّ من المناسبِ أنْ أُلحقهُما بكتابي على نحوٍ كامل لأنَّهما إضافة أصيلة للنقاشِ على نحوٍ بالغ الدَّلالة، فضلاً عن كونهما يُعطيان للقارئ بعضَ الإضاءة حول اتِّجاه رحلتي العقلية الحالية. عندما يُؤخذان بالتَّزامُنِ مع (القَسْمِ الثاني: اكتشافي للمقدَّس)، فستجد أنَّها تُشكِّلُ كلاً عضوياً يُقدِّمُ رؤيةً جديدةً في فَلْسفةِ الدِّين). (ص223-224)..

■ **الملحق الأول- (الإلحاد الجديدThe New Atheism):**

وهو عبارة عن تقييم نقدي لريتشـارد دوكينز، ودانيال دينيت، ولويس ولبرت، وسام هاريس، وفكتور ستينجر، بقلم البروفيسور روي أبراهام فارجيس.. ويتحدث كاتب الملحق قائلاً: «..لم يفشـل هؤلاء فقط في تقديم سـبب لهذا الاعتقاد، بل إنَّهم تجاهلوا الظَّواهرَ الواضحة المُتعلِّقة تحديداً بالسُّـؤال عـمَّا إذا كان الإلهُ موجوداً. كما أرى، هناك خمـسُ ظواهر واضحة في خبرتِنا المباشرة، لا يمكنُ تفسيرُها إلاَّ بلُغةِ الإيمان بوجودِ إله.. هذه الظَّواهر هي:

الأولى: العقلانيَّةُ المُتضمَّنة في جميعِ خبراتنا الحسِّية عن العالَمِ الفيزيائي.

الثانية: الحياةُ، القدرةُ على الفعلِ بنحوٍ مستقل.

الثالثة: الوعيُ، القدرةُ على أنْ تكونَ مُدْركاً.

الرابعة: الفكرُ التصوُّري، القدرةُ على التعبيرِ وفهمِ الرُّموز كتلكَ الموجودة في اللُّغة.

الخامسـة: النَّفْس (الذَّات) البشرية، (مركز) الوعي والفكرِ والفعل». (انظر: هناك إله، مصدر سابق، ص227).

ويصل المؤلف في هذا الملحق الأول إلى نتيجة هي أن الظواهر لا يمكن فهمها إلا بارتباطها بإله، حيث يقدم للقراء شرحاً موسـعاً وشـيقاً حول الموضوع، خاصة تلك الظواهر: العقلانية، الحياة، الوعي، الفكر، الذات. (انظر: هناك إله، مصدر سابق، ص228-256).

■ **المُلْحَـقُ الثاني- الوحي الذاتي للإله في التاريخ البشري (حوار مع ن.ت.رايت حول المسيح):**

وكان عبارة عن مجموعة أسـئلة (نقاشـية حوارية) مهمَّة طرحها الكاتب (أنتوني فلو) وقدمها إلى أسقف درهام (نيكولاس توماس رايت)، وهو رجل دين المتخصص في العهد الجديد.. وقد دارت تلك الأسـئلة حول الادِّعاء بأنَّ هناك وحياً ذاتياً للإلهِ في التاريخِ البشري تجسَّدَ في يسوعِ المسيح، وكذلك عن معنى قيامة المسيح، وغيرها..

يقول الكاتب: «في مناظراتي المختلفة عن قيامة المسيح، قدَّمتُ نقاطاً متعدِّدة:

النُّقطةُ الأولى، هي: أنَّ أحدثَ الوثائق التي تُؤرِّخُ للحدَثَ المُدَّعى، كُتِبَت بعد ثلاثين أو أربعين سنة من وقوعِه. لا توجد أدَّلة معاصرة لوقوعِ الحدث، وإنَّما مجرَّد وثائق كُتِبَت بعد وقوعِه.

النُّقطةُ الثانية، هي: أنَّنا لا نملكُ وسيلة للتحقُّق فيما إذا كان المسيحُ المبْعوثُ قد ظهَر واقعاً للمجموعاتِ التي ادَّعت رؤيتُهُ، لأنَّ ما لدينا من وثائقَ يقولُ فقط: إنَّ هذه الأحداث غير الاعتيادية قد وقعَتْ بالفعل.

والنُّقطةُ الأخيرة، هي: أنَّ الأدلَّةَ على قيامةِ المسيحِ محدودةٌ جـدّاً. في الحقيقة، وثائقُ العهدِ الجديد عن قيامة المسيح كانت هي رسائل بولس، ولَم تكن في الأناجيل، وهذه الرَّسائل تنطوي على تفاصيل حسِّية ضئيلة جدَّاً عن قيامةِ المسيح». (راجع: هناك إله، مصدر سابق، ص260).

ويحـاول الأسـقف رايت الإجابة عـلى تلك التسـاؤلات في ما يقربُ مـن43 صفحة، ولكن لغتـه الدينيّة التـي يحاول إظهارها كإجابة مقنعة، لم تكن هكذا للأسـف لغـير طائفة المؤمنين بالمسيحيَّة..!!. مع أن الكاتب (أنتوني فلو) يبدي في (تأملاته الختاميَّة) إعجابه بمقاربة الأسقف رايت، إذ يعدُّها جديدة وراديكاليَّة. (انظر: هناك إله، م. س، ص300).